دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

يهود الأطلس والريادة الاقتصادية والمالية في مغرب ما قبل الاستعمار

د. عبد الغني العمراني
باحث في التاريخ المعاصر
أكاديمية الدار البيضاء
سطات – المملكة المغربية

مُلَخّص

تروم هذه الدراسة إبراز مختلف الأنشطة الاقتصادية والمالية التي مارسها يهود مدن الأطلس وقراه خلال فترة ما قبل الحماية الفرنسة على المغرب، وهي دراسة تاريخية تعالج موضوعًا لم يحظ -فيما نعلم-بأي أهمية على الأقل من طرف الباحثين المغاربة، فباستثناء بعض الدراسات القليلة جدا التي تناولت موضوع الأنشطة الاقتصادية والسياسية ليهود مدن الساحل المتوسطي والأطلنتي، تبقى الدراسات الأخرى التي عالجت الموضوع ذاته عند يهود مدن الدّاخل من طرف بعض الباحثين الأجانب مكرسة بشكل أساس لدراسة جانب محدد من حياة يهود مدينة بعينها دون غيرها، لذلك لم نجد مندوحة عن التعويل على النص الرحلي أو النص الاستشراقي في دراسة هذا الموضوع من جميع جوانبه، والاستعانة في بعض الأحيان بالكتابات اليهودية والمحلية التي عرّجت على ذكر الموضوع المعني بالدراسة في بحر تناولها لموضوع يهود المغرب بصفة عامة. وقد توصلت الدراسة إلى أن الجماعة اليهودية بالأطلس المغربي خلال فترة ما قبل الاستعمار مارست أنشطة اقتصادية متعددة ومتنوعة، ارتبطت بعضها بالظروف الطبيعة والمناخية للمنطقة، وارتبطت أخرى بإقبال الساكنة المحلية على بعض السلع والمنتجات الخاصة، واستطاعت بفضل مهارتها الفائقة وذكائها الحاد أن تراكم ثروات ضخمة أمسى معها عدد من أفرادها تجارًا كبارا، وصُنّاعًا أطبقت شهرتهم الآفاق، وصيارفة لا يُستغنى عنهم من قبِل جيرانهم المسلمين الذين كانوا يقترضون منهم المال عند الحاجة، بل حتى القبائل المغربية، والشخصيات الوازنة، والسلاطين أنفسهم كانوا يضطرّون إلى الاستدانة منهم زمن المحن والشدائد، مثلما فعل على سبيل المثال السلطان مولاي عبد العزيز، حينما استفحلت الأزمة في عهده، وتراكمت عليه الديون، وفشل «الترتيب»، فلم يجد مندوحة عن طلب القروض من تجار يهود فاس.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٨ يوليو ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ٣٠ أغسطس ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

يهود الأطلس؛ المخزن؛ النشاط التجاري؛ تاريخ الأقليات الدينية؛ المغرب الأقصى؛ تاريخ المغرب الحديث

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2023.239555

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد الغني العمراني. "يهود الأطلس والريادة الاقتصادية والمالية في مغرب ما قبل الاستعمار".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الواحد والستون؛ سبتمبر ٢٠٢٣. ص ١٥٣ – ١٦٥.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: pr.ghaniho@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

قدّم يهود الأطلس أنموذجًا متفردًا في التدبير الجيد والمعقلن للأنشطة الاقتصادية والمالية، وهو ما جعلهم عنصرا متميزا لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنه سواء من طرف المخزن المغربي أم من طرف جيرانهم المسلمين. فقد امتهن يهود مدن وقرى جبال الأطلس مختلف أنواع الأنشطة الاقتصادية كالصياغة، والزراعة، والبناء، والتجارة بمختلف أشكالها، بيد أن هذا النشاط الأخير شكل أبرز الحقول الاقتصادية التي استرعت اهتمامهم منذ استقرارهم في البلاد أول مرة، ويرجع سبب تركيزهم على هذا النشاط بالأساس إلى درايتهم الواسعة بشؤون التجارة الدولية، وبتقنيات الحساب اللازمة في هذا الميدان، وباللغات الحيَّة، وتوفرهم على رؤوس الأموال خاصة بعد قدوم الميغوراشيم (يهود الأندلس والبرتغال)، ومحافظتهم على علاقات بيهود أوروبا. وبفضل النشاط التجاري المكثف ذاع صيت عدد من التجار اليهود في هذه النواحي، وأطبقت شهرتهم الآفاق ليتبوَّأ عدد منهم مكانة بارزة لدى المخزن المغربي كوسطاء تجاريين بينه وبين الدول الأوروبية، وذوي خبرة في إنجاز «الصفقات» وإدارة المعاملات التجارية، وكسفراء لقضاء أغراض السلاطين وحلِّ المتوتر من العلاقات، كما عمد السلاطين أيضًا إلى تعيِّين عدد منهم كمستشارين ووزراء، وغيرهما من المناصب المؤثرة في الدولة، وسمحوا لهم أيضًا باستثمار أموال الدولة في تجارة الوسق والاستيراد على الخصوص. تحاول هذه الدراسة استجلاء مختلف الأنشطة الاقتصادية والمالية التي مارسها يهود مدن وقرى جبال الأطلس، بالتركيز أساسًا على الكتابات الأجنبية والإنجليزية منها وجه الخصوص، بالنظر إلى ندرة الدراسات والأبحاث المغربية التي تناولت الموضوع بجدية.

أولاً: أهم الموارد الاقتصادية ليهود الأطلس

من المعلوم أن الحياة الاقتصادية عند الجماعات اليهودية المغربية تتنوع تبعًا للأزمة والأمكنة، وإن كلّ محاولة تهدف إلى جعل هذه الحياة ذات نمط موحد ستكون بالتأكيد محاولة متعسِّفة[١]. ففي الأدبيات اليهودية، فإن القيادة الروحية والدنيوية توجد بين أيدي أولغارشية، وهي فئة منحدرة من عائلات أرستقراطية عريقة من أصل أندلسي في غالبيتها (طوشافيم)، ومن هذه الفئة يتم انتقاء الفقهاء البارزون «نكيديم» والوجهاء الذين يرتقون أحيانًا إلى مراتب رسمية سامية، وهم من يراقبون القروض والأعمال التجارية الكبرى الداخلية والخارجية ويمولون الحرف المحلية ومجهزو الجيش، ويستحوذون على رؤوس الأموال، وتربطها علاقات مع المخزن، وكانت لها وسائلها الخاصَّة للحصول على المعلومات ذات الطابع الاقتصادي بفضل من كانت تتصل بهم من مراسلين دوليِّين، وكانت تحتكر تصدير المواد المحلية (الحبوب، الجلد، الفرو، والشمع)، وتختص باستيراد مختلف مواد التموِّين والنسِّيج، وهؤلاء التُجَّار الكبار هم الأكثر تشددًا في معاملاتهم التجارية مع بني جلدتهم مثل تجار التقسِّيط الصغار وأصحاب الدكاكين في المَلَّاح أو السوق (السوَّاقة» والمتجولين ببضائعهم في البوادي، ولا تشكل هذه البلوتوقراطية البورجوازية إلَّا فئة قليلة داخل المجتمع اليهودي، بينما تعيش الأغلبية السَّاحقة من السكان من التجارة الصغيرة والحرف وبيع البضائع المتنقلة ومن الوظائف الدينية –التعليمية ومن الزراعة [٢]في بعض الأماكن القروية[٣].

هذا فضلاً عن اشتغال هذه الفئة الأخيرة بمدن الأطلس، وخصوصًا بمدينة فاس بـ«تصريف الفلوس بالدراهيم...، وصنع قراشيل الصوف والحجامة والحرارة وتباقلت وبيع اللبن...، وحرفة النجارة وصنع.....، اللجم وخرازة البالي...، والصبغ والنحاس...، والدِّباغة وبيع القنب وغزله [وبيع الكتان وشجره]»[٤]، وبيع الحرير والفخار والأسلحة والسروج المطرَّزة والقيام بأعمال الصاغة[٥]، ويقومون أيضًا بصناعة خيط الذَّهب –تسكاليك- وكانت الصناعة قائمة بالملاَّح، وهي ذات دخل وفير تضمن عيش عددًا كبيرًا من الأسر اليهودية، وهي متوارثة منذ عصور عديدة، وكانت الصناعة بفاس قائمة بالأساس على الذهب والفضَّة والحرير، ويُشرف عليها ما يسمُّونهم بـ«المعلمين» الذين يقومون بجلب المواد الأساسية، ويوزعونها على الحرفيِّين الفاسيِّين المتخصصين في صناعتها[٦].

وهي نفس الإفادات التاريخية التي أوردها المستكشف والجغرافي الألماني فريدريش جيرهارد رولفز Friedrich Gerhard Rohlfs (ت.١٨٩٦م) في مؤَلفه «مغامرات في المغرب» حيث آتى فيه على ذكر صناعة الذهب والفضة بمدينة فاس، وخصَّ بها اليهود دون غيرهم إلى جانب صناعة ملابس النساء وخواتم الأصابع والأساور والخلاخل النحاسية والفضية وسك النقود[٧]،بالإضافة إلى ذلك عمد يهود فاس إلى ابتكار صناعة جديدة مذهلة، حيث تمكنوا من استخراج شراب من التين يسمى «الماحيا» الذي يُستهلك كثيرًا ليس من طرف الرجال وحسب، وإنما حتَّى من قِبل النساء اللواتي يعرفن تمامًا طعم هذا السائل القوِّي، وكل هذا جعل شؤونهم التجارية تشهد ازدهارًا[٨].

تَعتبر الكتابات البريطانية -في طليعتها كتابات بدجيت مكينJ. E. Budgett Meakin (ت.١٩٠٦م) - أنَّ الحياة الاقتصادية ليهود الأطلس لا تختلف عن الحياة الاقتصادية لليهود في باقي المناطق المغربية، فإلى جانب الفلاحة، امتهنوا الصناعة خاصة صناعة المجوهرات، والنحاس، والقصدير وباقي الأعمال المعدنية، وبرزت مهاراتهم وبراعتهم أيضًا في تطريز النعال وخياطة المناديل والأوشحة وتطرِّيزها، وفي صناعة الوسائد المطرَّزة والنعال الجلدية والبنادق والخناجر والسروج، وكذلك في النجارة، وفي إعداد عدد من السلع المفيدة والمزخرفة، وفي بيع السكر والتبغ والتوابل والأساور والقلائد وقوارير ماء الورد والكحل والسواك، أمَّا التُجَّار وأصحاب المتاجر، فإن نسبة كبيرة من تجارة البلد تمرُّ عبر أيديهم، بل إنَّ أكبر نسبة تمرُّ من خلالهم، وبأنَّ تلك السلع الكثيرة التي تباع بالتقسِّيط من قِبل المسلمين إنمَّا تم استيرادها من طرفهم، بل حتَّى جميع متاجر البيع بالتقسِّيط بالمغرب هي في ملكيتهم[٩]، وهكذا، فإنهم يشتغلون في جميع أنواع التجارة من تاجر مرموق إلى بائع توابل متجوِّل[١٠].

وقد اعتبر الإنجليزي ويليام لمبريير William Lempriere (ت.١٨٣٤م) يهود مراكش صناعيون بامتياز، ففضلاً عن كونهم مصرفيِّين، فإنهم يتحكمون في جميع الشؤون المالية والتجارية باستثناء جباية الضرائب[١١]، وروى الكاتب البريطاني هيوغ إدوارد ميلينجتون ستوتفيلد Hugh Edward Millington Stutfield (ت.١٩٢٩م) أنه يوجد بين يهود المغرب أمهر الحرفيِّين في الجلود والمعادن والمواد الأخرى، وبأنَّ الشخص اليهودي ذكي جدًّا مقارنة بنظيره المسلم، بل حتَّى السلاطين المغاربة يقرُّون بكفاءتهم كرأسماليين، ورغم الاضطهاد، فإنهم مُصرُّون على جمع الثروة[١٢]، فيما حكى المستكشف البريطاني جوزيف طومسون Joseph Thomson (ت.١٨٩٥م) أنَّ يهود منطقة تسامست Tasimset الجبلية الواقعة جنوب غرب مدينة دمنات امتهنوا التجارة وصناعة وإصلاح الأحذية، فأغلب يهود المنطقة هم تجار صغار يجوبون الأسواق الأسبوعية في جبال الأطلس وفي السهول[١٣].

وكذلك الشأن بالنسبة ليهود دمنات الذين شكلوا أهمّ جماعة متاجرة بالمدينة، وذلك لأسباب متعددة منها؛ تخصُّصهم، ولكونهم وسطاء رئيسيِّين في البضائع الأجنبية التي لم تفتأ تزداد مكانتها في التجارة القروية، ولعل إقدام بعض الدمناتيِّين في يناير ١٨٦٦م على إحراق سلعة يهودي بحانوته كانت إيذانًا بنشوء حزازات بين جماعة التجار المسلمين وجماعة التُجَّار اليهود الذين بدأت تقع في أيديهم رؤوس أموال أجنبية[١٤]، وقد تعاطوا للدباغة[١٥]وللنجارة والبناء وقليل منهم من «تعاطى الفلاحة، وضئيل في حق من له عقار بالرهن أو الشركة»[١٦]، واشتهروا كثيرًا بصياغة المعادن من الفضة المستوردة من خارج المنطقة، أو يقومون بإعادة صياغة مسكوكات نقدية كالريال الحسني مثلاً، كما قد يشتغلون خارج المنطقة مع الأسر التي تريد صياغة المجوهرات لأبنائها أو بناتها خلال المناسبات، فحينما تعتزم مثلاً أسرة على القيام بخطبة عروس لابنها يُستدعى صائغ يهودي إلى الدار «ويحفر موقدًا، وينصب الكير، فتطلب الأم من ولدها ريالين مما حصل من أجر خلال هجرته من خارج المنطقة، وتطلب... (منه) أن يصنع منهما سوارين، وحين تتم الصياغة يعطيه الإبن أجره، ويُطعمه هو ومساعده ويسقيه شايًا وينصرف»[١٧]، وكان بدمنات خلال عهد مولاي الحسن الأول ثمانية على الأقل من يهود عائلتي ابن شلول وابن البهوش الذين عُرِفوا بإتقانهم لصناعة زناد البناق[١٨].

ويبدو أنَّ مدينة دمنات استمدَّت أهميتها في المبادلات من موقعها الجغرافي المتميِّز بين سهل الحوز وجبال الأطلس الكبير الأوسط، ومن وقوعها على طريق ممرات كانت هي الطريق العادية إلى وادي دادس وواد درعة وتدغة وتافيلالت، ومن وقوعها أيضًا على مقربة من منتصف الطريق بين منطقتين تجاريتين كان بينهما اتصال محدود هما: منطقة مراكش ومنطقة فاس، ولئن كان من الصعب مقارنتها بفاس ومراكش بالنسبة لحجم المبادلات خلال منتصف القرن التاسع عشر، فإنها كانت أكثر من مجرد سوق أسبوعية، بل كانت لها أهمية أكبر ممَّا كانت لمراكز أخرى مجاورة واقعة عند قدم الجبل، كسيدي رحال، وأيت ورير، وأمزميز، وإيمنتانونت[١٩].

وهكذا، استغل التجار اليهود كل هذه الظروف والمؤهلات وغيرها، فسيطروا على الممرات التي تربط المدينة بالمراكز التجارية الكبرى ممَّا جعلها منذ منتصف القرن التاسع عشر مركزًا تجاريًا إقليميًا مهمًا[٢٠]، كما شهدت أيضًا خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر انتعاشًا اقتصاديًا ملحوظًا أسهم فيه إلى جانب التجار اليهود مسلمي المدينة الذين تولوا عمارة متاجر الملاح القديم المعوّضة لأهل الذمة، وزاد السلطان مولاي الحسن الأول في بناء مائة متجر جديد تهافت التجار اليهود على كرائها، وبفضل مؤهلاتها المتنوعة أمست دمنات خلال أواخر القرن المذكور مزدحمة بالوافدين عليها من القبائل حتى تعذَّر فيها وجود مسكن بالشراء أو الكراء أو الرهن[٢١].

لكن سرعان ما دخلت المدينة في فترة تدهور عقب وفاة السلطان مولاي الحسن الأول سنة ١٨٩٤م، واضطرَّ العديد من التجار اليهود إلى مغادرتها في اتجاه المدن الكبرى، وجاءت انتفاضة القبائل في صيف ١٨٩٤م لتنهب أسواق دمنات وتحرقها وتشتت تجارها وصنَّاعها، فتعطلت أسواقها بصفة كليَّة، وعلى الرغم من محاولة القبائل المجاورة إحياء النشاط التجاري وإقرار الأمن بها، فإنها لم تكن لتفلح بسبب مغادرة العديد من التجار الكبار المدينة نهائيًا[٢٢].

وقد كان اليهود يشكلون ثلث سكان المدينة البالغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف نسمة خلال سنة ١٨٦٤م[٢٣]، وذلك حسب تقديرات الباحثة الأمريكية جيسيكا مارجلين Jessica Marglin[٢٤] ، بينما قدَّر أحمد نجيب الدمناتي في «القول الجامع» عددهم خلال فترة حكم السلطان مولاي الحسن الأول بألف وثمانمائة عائلة، مضيفًا أن «غالبهم يحترفون بالتجارة، وغالب عيشهم ما غالب على جنسهم من الاقتصاد التام، شأنهم اكتساب الفلس من الناس حرصًا على جمعه بجميع الوسائل، وقد كانوا قديمًا من أثرياء البلد»[٢٥]، أمَّا الكاتب الفرنسي مارسيل مونمارشي Marcel Monmarché (ت.١٩٤٥) فقدَّر عددهم بألف وخمسمائة نسمة من أصل مجموع سكان المدينة البالغ أربعة آلاف نسمة خلال العقد الثاني من القرن العشرين.[٢٦]

وكذلك الشأن بالنسبة ليهود منطقة نتيفة Ntifa[٢٧] الذين مارسوا التجارة في الأسواق الأسبوعية، وقد كانوا مستقرِّين أساسًا في مركز إقليمي صغير يُسمَّى فم الجمعة Foum Jamaa[٢٨]، وشكلوا خلال سنة ١٨٨٣م ما مجموعه مائتي نسمة من إجمالي عدد السكان البالغ حوالي ألف وخمسمائة نسمة[٢٩]، وفضلاً عن استقرارهم في مركز فم الجمعة تواجد اليهود أيضًا في كل أنحاء منطقة انتيفة، وشيدوا هناك عدة ملَّاحات كملَّاح تنانت، وملَّاح بوحرزان، وملَّاح تيزوكين، وملَّاح أيت تكلا[٣٠].

ويبدو أن ممارسة يهود الأطلس للصناعة وللتجارة ليس وليد الفترة المعاصرة أو حتى الفترة الحديثة، وإنما يعود تعطشهم إلى هاتين المهنتين إلى فترات تاريخية سابقة عنهما، فقد ذكر مرمول كربخال في مؤلفه الشهير «إفريقيا» امتهان يهود الأطلس الكبير التجارة والصناعة قبل مطلع العصر الحديث، ففي بحر حديثه عن مؤهلات منطقة تَدْنِسْتْ التي عدَّها «أهم مدينة بإقليم حاحا...، وينيف عدد مساكنها عن ثلاثة آلاف»[٣١] آتى على ذكر التُجار والصُناع اليهود القاطنين بها[٣٢]، وذلك بقوله:«وهناك أيضًا بعض الحرفيِّين كالإسكافيِّين والخياطين، والحدادين والنجارين وعدد من الصاغة اليهود والتجار الذين لا يبيعون سوى أقمشة خشنة مصنوعة في البلاد.....، وتوجد أكثر من مائتي دار لليهود في حيٍّ منعزل يعيشون فيه وفق شريعتهم ويؤدون للعامل مثقالاً عن كل رأس»[٣٣]، وكذلك خلال

كلامه عن المؤهلات البشرية والاقتصادية لمدينة «تيُّوت»[٣٤]التي قال عنها إنَّ «سكانها أغنياء، ولهم أراض كثيرة يزرعونها شعيرًا ويربون فيها الماشية....، ويعامل السكان الأجانب معاملة في غاية اللياقة، وتعيش بين ظهراهم ثلاثون عائلة من الصُنَّاع اليهود الذين يتمتّعون بكامل الحرِّية»[٣٥]، وحينما ذكر أيضا منطقة درعة التي «يتساكن (فيها) عدد هام من اليهود التجار والصياغين»[٣٦]، ثم عندما تحدث عن منطقة «تكاووست»[٣٧] السوسية التي يوجد بها «أكثر من ثمانية آلاف منزل، منها ما يزيد عن ثلاثمائة لليهود الصُنَّاع والتُجار الذين يعيشون في حيٍّ منعزل»[٣٨].

وتحدث من جهته الحسن الوزان في «وصف إفريقيا» عن احتراف اليهود الصناعة والتجارة في مدن تاريخية كثيرة بالأطلس المتوسط والكبير والصغير منذ الفترة الوسيطية، فخلال رصده لموقع مدينة فاس ولأهم أحيائها دوَّن ما يأتي: «بقرب دار السكة سوق فيه دكاكين الصاغة...، ومعظم الصاغة من اليهود الذين ينجزون أعمالهم بفاس الجديد ثم يحملونها إلى المدينة القديمة لبيعها في سوق معدٌّ لهم قرب سوق العطارين، ولا يمكن... لأيِّ مسلم أن يمارس مهنة صائغ، إذ يُقال أن بيع المصوغات الذهبية والفضية بثمن أعلى مما يساويه وزنها يُسمَّى ربا، ولكن الملوك يسمحون لليهود بالقيام بهذا العمل»[٣٩].

وفي معرض حديثه عن آيت دواود، وهي مدينة تاريخية عتيقة اندثرت اليوم إلَّا أن قبيلة آيت دواد لاتزال إلى اليوم في نفس المنطقة في حاحا الشمالية الغربية، قال إنَّ بهذه «المدينة عدد كبير من الصُنَّاع اليهود من حدَّادين وإسكافيِّين وصبَّاغين وصائغين، يُقال إن السكان الأقدمين لهذه المدينة يهودًا من سلالة دواد »[٤٠]، ونقرأ أيضًا في مؤلفه المذكور ما يفيد أن يهود الأطلس مارسوا الصناعة والتجارة في بعض المدن التاريخية منذ زمن قديم،كقوله عن مدينة تيُّوت السوسية «وفي تييوت عدد كثير من الصناع اليهود، وهم لايؤدون أيَّة الجزية، وإنما يقدِّمون بعض الهدايا الصغيرة إلى الأعيان»[٤١]، وقوله عن مدينة تِيدْسي«وفيها عدد كثير من الصُنَّاع اليهود، كصياغين وحدَّادين»[٤٢]وعن مدينة تَفْزَة التي يوجد «فيها نحو مائتي دار لليهود، كلهم تجار وصنّاع»[٤٣].

أمَّا سكان جبل شيشاوة بالأطلس الكبير فـ«يختلط بهم كثير من اليهود الذين يزاولون في هذه الجبال مهنة الحدادة ويصنعون المجارف والمناجل وصفائح الخيل، كما يخدمون في البناء الذي لا يفيدهم فائدة تذكر»[٤٤]، كما يوجد بجبل هَنْتاتَة «كثير من الصُنَّاع اليهود الذين يؤدون الجزية»[٤٥]، وغير ذلك من المناطق الجبلية الكثيرة والقرى والمدن التاريخية العديدة بالأطلسين الكبير والصغير التي عمَّرها عدد كبير من التُجار والحرفيِّين والصُنَّاع اليهود منذ الفترة الوسيطية أو ربما قبلها.

وفضلاً عن ذلك، أمدَّنا الكاتب البريطاني ستوتفيلد بمعطيات مهمّة عن أساليب أخرى سلكها يهود الأطلس من أجل جمع الثروة، كإقراض المسلمين قروضًا بالفائدة[٤٦]، وهي طريقة تدرُّ عليهم أموالاً كثيرة، فالذكاء الحاد لهذا العرق- يقول ستوتفيلد--يؤهله لخداع القروي المسلم بكل سهولة. فالمغربي المسلم -في نظره- أكثر «المخلوقات» سذاجة على الأرض، وهو ما يؤدي في النهاية إلى الحقد والضغينة ضدَّ اليهود، هناك آلاف الحيل مرتبطة بالعملة يمارسها اليهود على المغاربة «التعساء» زمن القحط والمجاعات، وهي حيل قد لا يتم تمريرها حتى على طفل صغير، بينما يتم ممارستها على المغاربة المسلمين السذَّج[٤٧]، وللتعويض عن سوء المعاملة والاضطهاد احترف اليهود السرقة ضدًّا على المغاربة المسلمين[٤٨].

وممَّا لا شك فيه أنَّ تهافت يهود الأطلس إلى تحصيل الثروة بشتَّى الطرق الشرعية وغير الشرعية ليس فعلاً حديثًا، فقد تحدثت الكاتبة والأسيرة الهولندية في مكناس خلال القرن الثامن عشر ماريا تير ميتلين Maria ter Meetelen (ت.١٧٥١م) في مذكراتها التي وسمتها بـ«اثنتا عشرة سنة من الاستعباد ١٧٣١-١٧٤٣م» عن الابتزاز الذي تعرضت له باستمرار من طرف بعض يهود المدينة خلال إقامتها بالقصر السلطاني زمن «الفترة»[٤٩]، خصوصًا حينما علموا بامتلاكها بعض الأشياء الثمينة التي كان قد أهداها إيَّاها السلطان محمد ولد عربية[٥٠]، فمما جاء على لسانها في هذا السياق قولها: «وبمجرد ما دخلت (بيتي) وجدت نفسي عرْضة لشتائم النصارى مجدَّدًا الذين كانوا يريدون

الوشاية بي لدى الزنوج[٥١] بأنني أتوفر على العديد من الأحجار الثمينة والذهب كنت حصلت عليها من الملك...، إذ ألبوا اليهودي.... ضدِّي، فاستدعاني...، ذهبت إليه فأساء معاملتي وألح عليَّ كي أدفع له المال، وبقدر ما كنت أقول له بأنني لا أملك نقودًا بقدر ما كان يلقي على مسامعي الكلمات الجارحة والشتائم...، وهددني قائلاً: إنه اتخذ التدابير كلها من أجل الحصول على المال مني، وهو ما شرع في تنفيذه بعيد ذلك»[٥٢].

ومن كثرة ما تعرَّضت له من ابتزاز اليهود والنصارى على حدٍّ سواء، وخوفًا على حياتها منهم اضطرَّت ماريا في نهاية المطاف إلى طلب حماية باشا مدينة مكناس، خاصة وأن أوضاع المدينة في تلك الفترة كانت متردِّية للغاية بسبب الاضطرابات والقلاقل السياسية الناتجة عن تسلط جيش عبيد البخاري الذي أقدم سنة ١٧٣٨م على عزل السلطان المذكور، وتنصيب سلطان بديلاً عنه هو مولاي المستضيء، وعلى الرغم من دخولها في حماية الباشا الذي استقبلها ورحب بها وبأسرتها، فإنها لم تنج أبدًا من غطرسة اليهود الذين سعوا عن ساعد الجدِّ لتأليب امرأة يهودية تقيم في دار الباشا ضدَّها، ذلك أنه بمجرَّد ما إن دخلت دار الباشا حتَّى وجهت لها المرأة اليهودية السؤال التالي: «قولي لي أين تركت المال والحلي، لقد اعترف زوجك وعُوقِب بقسوة، وهم الآن منشغلون بسلخ جلده عن لحمه، وإن لم تخبرني سيأتون للبحث عنك وسيعاملونك بالمثل»[٥٣].

ومما يُدلل كذلك على الرغبة الجامحة لدى اليهود في امتلاك الثروة بأيِّ وسيلة كانت، تقول ماريا إنَّ يهود مكناس لمَّا «علموا أن أسرانا الهولنديِّين وعدوا بـ١٠٠ دوكة كي يتم افتداؤهم، توجهوا إلى بعض أسرانا من بين الأصغر سنًّا، والذين لم يكونوا يعرفون أيّ شيء عن أحوال البلد، طيّبوا خواطرهم بكلام حلو، ووعدوهم بالحرِّية إن استطاعوا مساعدتهم في إيجاد بعض المئات من الدوكات كي يتم تقديمها كهدية للقائد الأعلى للزنوج»[٥٤].

ويعترف الصحفي الإنجليزي وولتر بيرتون هاريس Walter Burton Harris (ت.١٩٣٣) بأنه على الرغم من تعلق يهود الأطلس بطرق وأساليب النصب والخداع وبعادات السكر، وعلى الرغم من القذارة التي يعيشون فيها، فإنَّ بينهم عمال مهرة، يتفوقون على نظرائهم من المسلمين، ويمتهنون التطرِّيز بالفضَّة والذَّهب والخياطة وسك العملة[٥٥].

وعلى الرغم من امتهان معظم يهود الأطلس الصناعة والتجارة ومعظم الحرف التقليدية التي تُدرُّ عليهم أموالاً محترمة، فإنَّ كل ذلك لا يرق إلى مستوى طموحاتهم، إذ يبقى الطموح الكبير لدى اليهودي المغربي عمومًا للارتقاء في السلم الاجتماعي، هو أن يصبح مترجمًا لدى مفوضية أجنبية[٥٦]، وهي وظيفة لا تضمن له حياة مُريحة وحسب، وإنما تمنحه أيضًا أهمية ومرتبة معينة يمكن أن تكون وسيلته للارتقاء إلى أعلى مراكز القرار، ويُدين العديد من كبار المصرفيِّين والتُجار اليهود في المدن الساحلية بموقعهم الحالي الذي يتمتَّعون به لهذه الوسيلة في الارتقاء سواء بأنفسهم أو بواسطة آبائهم، ويشغل العديد منهم منصب نواب القنصليات الأجنبية[٥٧].

ولا يتقيد اليهود –حسب مكين- بأيِّ شكل من الواجبات الأخلاقية التي ينصُّ عليها دينهم[٥٨]، فعلى سبيل المثال يحق لليهود الفقراء سرقة المسلمين والمسيحيين، فليس في ذلك أدنى خطيئة، فالحكمة في نظرهم هي الخداع والكذب ونكث العهد، والعدالة في نظرهم هي الانتقام والكراهية والافتراء، أمَّا التبصُّر عندهم، فهو الجشع والجبن، لكن على الرغم من ذلك، فإنه يُقرُّ بأن اليهودي المغربي رجل مضياف وأسرته رائعة، فإن كانت عاداته متَّسخة وأمانته ضعيفة، فإنَّ أخلاقه هي الأسمى في المغرب باستثناء زيجات الأطفال المخزية[٥٩].

لا تختلف كثيرًا هذ المعطيات المتَّصلة بالحياة الاقتصادية ليهوديِّ الأطلس عن تلك التي أوردها باحثون معاصرون، فأستاذ التاريخ والدراسات الدولية في ولاية إيداهو الأمريكية رفائيل تشيجيوك نجوكو Raphael Chijioke Njoku ذهب أيضًا بالقول إن يهود المغرب امتهنوا التجارة الحرفية وتبادل العملات غير القانونية، والمتاجرة كذلك في المواد الثمينة مثل: الفضَّة والذهب والألماس، وبأنهم سيطروا على جزء كبير من الاقتصاد المغربي، بيد أنَّ عددهم تقلص خلال النصف الأول من القرن العشرين بسبب الهجرة إلى إسرائيل[٦٠]، وكتبت

الباحثة الأمريكية إميلي غوتريتش Emily Gottreich ما يفيد أنَّ التجار اليهود في مدينة مراكش كانوا يتجرون أساسًا في «الزيت والكبريت واللوز وبذور المشمش والقطن والشعير والشمع...، وغالبًا ما كانت هذه المنتجات متوفرة للشراء في الحيِّ اليهودي أولاً، ثم يتم إعادة بيعها في باقي أجزاء المدينة»[٦١].

وبالإضافة إلى هذه المنتجات، احترف يهود مراكش صناعة الفضَّة والذَّهب، واستخدموا الأحجار الكريمة والمرجان واللؤلؤ والترتر[٦٢] الإيطالي بشكل كبير في إبداعاتهم التي ضمَّت فضلاً عن صناعة المجوهرات عناصر أخرى مثل صناعة التعويذات والرَّكائب[٦٣] وحاملات المصاحف، وامتهنوا حرفة الخياطة التي مارسها عدد كبير من يهود مراكش الذين تجاوز عددهم الألف، فكان أبرز زبنائهم من رجال الشرطة والجنود، واشتهروا أيضًا ببيع التبغ والنعال ليس داخل الملَّاح وحسب، وإنمَّا في باقي أسواق مدينة مراكش[٦٤]، بل إنَّ نشاطهم التجاري تجاوز أسوار المدينة الحمراء ليمتدَّ إلى مناطق قروية كثيرة في جنوب المغرب، حيث كانوا يبيعون للساكنة القروية المنتجات المستوردة مثل: الشاي والسكر والمنسوجات، ويشترون منها في المقابل سلعًا محلية كجلود المعز، والشمع، والحبوب، واللوز وغير ذلك، ثم يعيدون عرضها للبيع في أسواق مراكش[٦٥].

وعلى عكس الدول الأوروبية التي كان يعيش فيها أغلب اليهود في المدن والقرى الكبرى، فإنَّ معظم يهود جنوب المغرب كانوا مستقرِّين في القرى الريفية الصغيرة بأحواز مراكش، حيث امتلكوا هناك أراض زراعية، واتخذوا منها موردًا للرزق[٦٦]، والشأن نفسه بالنسبة ليهود مدينة فاس الذين امتلكوا أيضًا كثير من العقارات بمحيط جامع القرويين، وكانت غالبية تلك العقارات عبارة عن حوانيت ومحلات تجارية كبرى[٦٧]، هذا فضلاً عن عقارات أخرى بضواحي المدينة كانت تُستغلّ لأجل إنتاج الحبوب، والفاكهة، خاصة العنب الذي كان يجفَّف ويُصدَّر إلى أودغست[٦٨].

وأكد من جهته الزعفراني أنَّ تجار مدينة فاس اليهود احتكروا صناعة التقطير وتجارة شمع النحل، بحيث كانوا يصدِّرون قطع الشمع، ويستخدمون بقايا التقطير في «الماحيا» لتستهلك في الملاح، وفضَّل آخرون شراء بساتين أشجار الزيتون في بعض المناطق الفلاحية مثل صفرو التي كانت «توجد بها جالية يهودية كبيرة»[٦٩]، ومارس بعض منهم صناعة وسك النقود، واشتهر آخرون بصياغة الذَّهب والفضَّة، ويُعدُّ اليهودي الفاسي جودا بن عطار من أبرز الصُّياغ الذين ذاع صيتهم في الآفاق، فقد عُرف هذا الرجل كصائغ ماهر جدًّا، وظل يعيش من مهنته، ويرفض أن يتلقى أجرة من مال الجماعة اليهودية مقابل الوظائف التي كان يشغلها، وهي قاضي القضاة ورئيسًا للمحكمة الربية بفاس، ويُطلق على الصُنَّاع الصيَّاغ في اللغة العبرية اسم «صورفيم»، كما امتهن يهود فاس مهنة البناء، والدليل على وجود هذا النوع من المهن هي الصفة العبرية «هاباناي» (البناء) التي أضحت لقبًا حقيقيًّا لإسحاق بار دينار بن شيمول هاباناي[٧٠]، بينما احترف البعض منهم مهنة الصباغة مثل التلوين بألوان قوس قزح، فقد ذكر الباحث عبد الرحمن بشير مستندًا إلى «الروض القرطاس» أنَّ عدد دور الصباغة في مدينة فاس زمن ابن أبي زرع (ت.١٣٢٦م)، بلغت مائة وستة عشر دارًا كانت بجانب الوادي الكبير الذي سكن اليهود أسفله، وقد حظيت هذه المهنة بأهمية كبيرة من طرفهم، بحيث كانوا يستوردون مواد الصباغة من مصر، وفلسطين، وكرمان، جنوب شرق فارس، ومن الهند أيضًا[٧١].

والجدير بالذكر أنَّ النشاط التجاري اليهودي لم يكن محصورًا داخل فضاء ملَّاح مدينة فاس فقط، وإنما امتدَّ ليشمل الفضاء العام للمدينة بأكملها، وبرز نشاطهم التجاري بشكل كبير في قلب فاس النابض، ومركز جذبها التجاري حيث القيسارية والأسواق الكبرى[٧٢].

واشتغل نظراؤهم بمدينة مكناس حسبما جاء في مؤلف شحلان «اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى ريّاح الفرقة» بالمهن التالية: قطابة الصوف، صياغة الذهب والفضة، الحدادة، صناعة السروج، صباغة الكتان، تقطير الشمع، نسج القطيفة، صناعة الحبال، الخياطة، البناء، الحلاقة، إصلاح الساعات، الخبازة، الخرازة، النجارة، وتجليد الكتب[٧٣].

وينكر أحمد التوفيق كلام الرّحالة الإنجليز من أمثال: ستوتدفيلد وطومسون وغيرهما الذين زعموا أن يهود دمنات دأبوا على إقراض المسلمين البسطاء

بالفائدة، ويُؤكد أن معاملات اليهود كانت تتم باستثمار أموالهم في القبائل المجاورة بإعطاء تلك الأموال للتجار المسلمين للمتاجرة بها في مختلف أنواع البضائع، أو بإعطاء متموِّلات كالبهائم بالشركة، أو الأرض المرهونة لديهم، أو الممتلكة لهم بالمزارعة أو الشركة، وبذلك كانوا يدخلون معهم وسطاء من أهل القبائل بثلث الربح أو نصفه، أمَّا تلك المعاملات المالية التي كانت تُعطى بالفائدة -أو بالطلوع كما كانوا يسمُّونها- إنما كانت تنطبق على الأموال المسلفة بصفة عامة، والمسلفة بصفة خاصة للمدينين للمخزن من شيوخ أو قبائل أو أفراد[٧٤].

وهكذا يكون التُجار اليهود قد أسهموا خلال فترة ما قبل الحماية بقدر كبير في تنشيط الحياة التجارية سواء في المدن الكبرى للأطلس، كمراكش وفاس ومكناس، أم في مراكز وقرى جبال الأطلس إلى جانب التُجار المسلمين الذين هيّأوا لهم الفرصة لاحتكار ميدان التجارة لاعتبارات اقتصادية ودينية بالأساس[٧٥]، وتمكنوا بفضل ذلك من تجميع الثروة، فأصبحوا صرَّافين وتجَّارًا وصنَّاعًا، وعملوا في المهن الحرَّة كما كانوا نشيطين في ميدان الاستيراد والتصدير، وكانت لهم علاقات تجارية في جميع أنحاء العالم منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين[٧٦]، وسطع نجم عدة أسر يهودية في ميدان التجارة والمال والأعمال في مدينة مراكش خلال القرن التاسع عشر من أمثال: آل مقنين[٧٧]، وقورقوزCorcos ، وروزيليو Rosillio، وكوريات Coriat وغيرها من الأسر التي تحملت مسؤولية التعامل مع القوى الأجنبية، ومع الرابطة اليهودية العالمية، وكذا مع المخزن المغربي الذي شملها بالرعاية والاهتمام، وأنعم عليها بمختلف أنواع العطايا والامتيازات[٧٨]، واعتمد عليها في حلِّ بعض القضايا الاقتصادية المستعصية[٧٩].

وفي مدينة فاس من أمثال: عائلة كوهين سكالي Cohen Saqali، وأسرتي أبنصورAbensour وابن دنان Aben danan، وعائلتي سيريرSerrero وكلاعيAlcalai، وأسرة ابن زيمرا Abn Zimra، وابن عطار Abn Attar، وابن البازAlbaz Abn، والمزنينة Almoznina، وعائلة حسرفاتيHassarfaty[٨٠]، ولعل انكباب التُجار اليهود بصفة خاصة على ممارسة الصناعة والحرف التقليدية مردُّه بالأساس إلى التعاليم اليهودية التي تفرض على كل يهودي تعليم ابنه حرفة معينة منذ صغر سنه، ثم إلى براعتهم وإتقانهم لمختلف الحرف اليدوية مثل صياغة الذَّهب والفضَّة[٨١].

ثانيًا: يهود الأطلس واحتكار فضاء المال والأعمال

إلى جانب التجارة بكل أنواعها، ينبغي الإقرار بأن يهود الأطلس كان لهم كذلك تدخلاً ماليًّا مهمًّا داخل الفضاء الإسلامي، ذلك أنهم انخرطوا بشكل وثيق مع المسلمين في جميع المعاملات المالية، فمنهم من كان مقرضًا للمال، ومنهم من كان جامعًا للديون مثلما هو الشأن لليهودي المراكشي سليمان قرقوز Solomon Corcos[٨٢] الذي تقلَّد وظيفة جمع الديون سنة ١٨٤٥م، بينما قام يهود آخرون بتحصيل الديون لفائدة الأوربيِّين، كالمحمي الفرنسي اليهودي نسيم إسرائيل الجزاري Nissim Israil al-Jiziri، واليهودي مردوخ الإنجليزي الذي ربما كان وكيلاً إنجليزيًّا، كما اشتغل بعض اليهود - بمن فيهم حاييم قرقوز- في مجال توفير سندات الكفالة للسجناء اليهود والمسلمين على السواء، وآخرون في مجال صرف العملات رغم ما يشوب هذا العمل الأخير من مخاطر بسبب استفحال ظاهرة العملات المعدنية المزيَّفة[٨٣]، ولعل اختيار اليهود لهذه المهمة كان أساسًا بسبب إلمامهم بالأوزان والمقاييس الأوروبية التي لم يكن لدى المسلمين إلمام كبير بها، وبرز في ملَّاح مراكش خلال سنة ١٨٨٤م عدد من رجال المال والأعمال من قبيل: مسعود قرقوز Masoud Corcos، وميمون أحيون Mimun Ahayon، وهارون إبريزHaroun Ibris، ومخلوف أبريج Makhluf Abrij[٨٤]، وفي مدينة مكناس لمع نجم كل من التاجر يوسف الصبَّاغ، والتاجر داود الدرعي الفاسي، والتاجر أبراهام الدرعي الرباطي[٨٥]. وغيرهم من رجال التجارة والمال والأعمال الذين أبدعوا وبرعوا كل في ميدانه، فذاع صيتهم في الآفاق، وسارت بأخبارهم الركبان، نظرا لأدوارهم الكبيرة في خدمة المجتمع والمخزن على السواء.

خَاتمَةٌ

صفوة القول، مارست الجماعة اليهودية بالأطلس المغربي خلال فترة ما قبل الاستعمار أنشطة اقتصادية متعددة ومتنوعة، ارتبطت بعضها بالظروف الطبيعة والمناخية للمنطقة، وارتبطت أخرى بإقبال الساكنة المحلية على بعض السلع والمنتجات الخاصة، واستطاعت بفضل مهارتها الفائقة وذكائها الحاد أن تراكم ثروات ضخمة أمسى معها عدد من أفرادها تجارًا كبارا، وصُنّاعًا أطبقت شهرتهم الآفاق، وصيارفة لا يُستغنى عنهم من قِبل جيرانهم المسلمين الذين كانوا يقترضون منهم المال عند الحاجة، بل حتى القبائل المغربية، والشخصيات الوازنة، والسلاطين أنفسهم كانوا يضطرّون إلى الاستدانة منهم زمن المحن والشدائد، مثلما فعل على سبيل المثال السلطان مولاي عبد العزيز، حينما استفحلت الأزمة في عهده، وتراكمت عليه الديون، وفشل «الترتيب»، فلم يجد مندوحة عن طلب القروض من تجار يهود فاس.

وعلى الرغم من هذه الأدوار المهمة، فإن الكتابات الإنجليزية تغاضت عنها، ولم تشر إليها إلا نادرًا، لذلك وجب التأكيد على أنه على الرغم من أهمية الكتابات الرحلية في الكشف عن جوانب دفينة ومهمة لاتزال بِكرًا في الدراسات التاريخية المعاصرة كحديثها عن الطبيعة المغربية بتضاريسها ومناخها خلال مختلف فصول السنة، ووصف الممرات والطرق والوديان والقرى والمداشر بدقة عالية، ورصد عادات السكان المحليّين وتقاليدهم وغير ذلك، فإنها في المقابل أبطنت أبعادًا سياسية خطيرة وأحكامًا مسبقة، وانطباعات شخصية غير بريئة موَّجهة بنظرية مركزية الغرب الحداثي، وهي خاصية ميَّزت معظم الكتابات الأوروبية التي دُوِّنت خلال فترة القرن التاسع عشر، بل حتى «كتابات السفراء الذين يفترض أنهم كلفوا بتسجيل ما رأوه بدقة وتجرد، فإنها لا تخلو من مبالغات... أهمها إلصاق كل الصفات الذميمة بالشعوب الأخرى»[٨٦]، وبالتالي فإن التعوِّيل عليها في أبحاث أكاديمية دون الرجوع إلى الكتابات المحلية تبقى مغامرة من الباحث غير محسوبة العواقب.

الاحالات المرجعية:

(١) حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ، ثقافة، دين**، تعريب: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط. الأولى، الدار البيضاء ١٩٨٧، ص.١٤٢.

(٢) اشتغل بعض يهود الأطلس بالزراعة خصوصًا في منطقتي فاس وسجلماسة اللتين تغلبا عليهما السهول ذات التربة الخصبة، وتخترقهما الأنهار التي تزيد من خصوبتها بما تحمله من غرين غنى المعادن، ففي فاس اختصَّ اليهود بإنتاج الحبوب والفواكه، أمَّا في سجلماسة فقد اهتموا بزراعة الدخن والذرة والقطن والكمون، والحناء، وبالبستنة، والتمر. عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب الإسلامي وإسبانيا المسيحية**، منشورات عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٤، الجيزة، ص ص.٨٩-٩٠.

(٣) حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود.....**، م.س، ص ص.١٤٣-١٤٤، ١٤٩

(٤) مجهول، **قضية المهاجرين المسمون بالبلديين**، دراسة وتحقيق: محمد فتحة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط. الأولى ٢٠٠٤، ص.(٥٨-٥٩.

(5) Edith Wharton, In Morocco, New York, 1920, pp.107-108.

(٦) فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين٧-٨هـ/١٤/١٥م)**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠١١، الجزائر، ص.٢٠٥.

(7) Friedrich Gerhard Rohlfs, Adventures in Morocco and Journeys Through the Oases of Draa and Tafilet, London, 1874, p.167.

(8) H.M.P. de La Martinière, Morocco: Journeys in the Kingdom of Fez and to the Court of Mulai Hassan, London, 1889, p.393.

(9) J. E. Budgett Meakin, «The Jews of Morocco». The Jews Quarterly Review, Vol.4, No. 3 (Apr.1892), p.391 ; Life in Morocco and Glimpses Beyond, London, 1905, p.17؛ The Moors: A Comprehensive Description, London, 1902, pp.446-447.See also: George Montbard, Among the Moors: Sketches of Oriental Life, London, 1894, p.147, 200 ; Robert Bontine Cunninghame Graham, Mogreb-el-Acksa: A Journey in Morocco, London, 1898, p.29; Donald Mackenzie, The Khalifate of the West: Being a General Description of Morocco, London, 1911, p.62; Arthur de Capell Brook, Sketches in Spain and Morocco, London, 1831, p.90.

(10) Donald Mackenzie, op, cit, p.62.

(11) William Lempriere, A Tour Through the Dominions of the Emperor of Morocco, London, 1813, p.182; H. J. B. Ward, Mysterious Morocco and how to Appreciate It, London, 1910, p.154؛ Donald Mackenzie, op, cit, p.62.

(12) Hugh E. M. Stutfield, El Maghreb: 1200 Miles Ride Through Marocco, London, 1886, p( ).140.

(13) Joseph Thomson, Travels in the Atlas and Southern Morocco: A Narrative of Exploration, London 1889, p.187.

(١٤) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان ١٨٥٠-١٩١٢)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الثالثة،٢٠١١، ص. ٢٩٤.

(١٥) انتشرت مهنة دباغة الجلود أيضًا على نطاق واسع عند يهود مدينتي فاس وأغمات. انظر: عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب الإسلامي**....، م.س، ص.٩٧.

(١٦) أحمد نجيب الدمناتي، **القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع**، ضبط النص وتقديم: أحمد بن محمد عمالك، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠١١، ص.١٠٢.

(١٧) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**....، م.س، ص ص.٢٣٧-٢٣٨.

(١٨) المرجع نفسه، ص.٢٣٨.

(١٩) المرجع نفسه، ص ص.٢٨٦- ٢٨٩.

(20) Jessica M. Marglin, Across Legal Lines Jews and Muslims in Modern Morocco, Yale University, 2016, p.132.

(٢١) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**....، م.س، ص.٣١٢

(٢٢) المرجع نفسه، ص ص.٣١٢-٣١٣.

(٢٣) ذكر أحمد التوفيق أن عدد سكان يهود دمنات شكل خلال عهد السلطان مولاي عبد الرحمان قرابة نصف عدد سكان المدينة، كان غالبيتهم من التجار، وقد امتلكوا أكثر من مئة متجر بالملّاح القديم عُوِّضت لهم في الملّاح الجديد سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وأُضيف إليها مثل ذلك من المتاجر شيِّدت بإذن السلطان مولاي الحسن وتم كراؤها لهم. انظر: أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**....، م.س، ص.٢٨٩.

(24) Jessica M. Marglin, Across Legal Lines Jews and Muslims....., op, cit, p.132

(٢٥) أحمد نجيب الدمناتي، **القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع**.....، م.س، ص.١٠١

(26) Marcel Monmarché, op, cit, p.145.

(٢٧) تقع قبيلة انتيفة أو هنتيفة قديمًا ضمن إقليم هسكورة، وهي أحد بطونها، وتجاور هذه القبيلة أزيلال شرقًا وقلعة اسراغنة جنوبًا ودمنات غربًا، ويفصلها عن إقليم تادلا نهر وادي العبيد شمالاً، وتضم عدة أفخاذ منهم: أهل تعزيط، القرواني، أيت أنول، بني حسان، القرية، هرفالة، أيت بوكماز، فم الجمعة، أيت مصاد، وابزو، وجرت العادة تقسيم قبيلة انتيفة إلى قسمين؛ انتيفة الجبل وانتيفة الظل، وتقع ابزو ضمن القسم الثاني. انظر: المصطفى فرحات، **اليهود في ابزو رحلة اللاعودة**، مطبعة القلعة، ط. الأولى، ٢٠٢١، ص ص.٦٧-٦٨.

(٢٨) لايزال هذا المركز معروفًا إلى اليوم باسم فم الجمعة، ويقع على مقربة من سوق اثنين انتيفة في ملتقى جبال الأطلس المتوسط والكبير، على بعد ١٣٠ كلم شمال شرق مدينة مراكش، ويبعد عن قبيلة ابزو بحوالي ١٥ كلم، وكان يضم جماعة يهودية مهمة وصلت سنة ١٨٨٣م إلى مائتي نسمة من أصل ألف نسمة تشكل مجموع سكان المركز، وقد ذكره الوزان باسم «الجمعة» وبأنه يشكل مدينة وليس مجرد قرية، ووصف مؤهلاته البشرية والاقتصادية قائلاً: «تبعد مدينة الجمعة عن تاكوداست بنحو خمسة أميال، وقد بُنيت في أيامنا هذه على جبل عالٍ تكتَّنفه جبال أخرى شامخة محتوية على نحو خمسمائة كانون، ويوجد نفس هذا العدد في القرى الواقعة في هذه الجبال، وفيها عيون عديدة وحدائق كثيرة ملئية بكل أنواع الأشجار المثمرة لاسيما بعدد وافر من أشجار الجوز الضخمة، وجميع التلال المحدقة بهذه الجبال مكسوّة بحقول الشعير والكثير من أشجار الزيتون، يسكن هذه المدينة عدد وافر من الصُّناع لاسيما الدبَّاغين والسَّراجين والحدَّادين، لأن هناك منجمًا للحديد على عمق كبير، ويصنع هؤلاء الحدَّادون كثيرًا من صفائح الخيل يصدِّر أهل هذه البلدة جميع الأدوات التي يصنعونها مع بضائعهم...، ويستبدلونها بالعبيد والنيلة وجلود بعض الحيوانات التي تعيش في الصحراء». انظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تعريب، محمد حجي ومحمد الأخضر، ج٢، دار الغرب الإسلامي، ط. الثانية، ١٩٨٣، لبنان، ص ص١٦٨-١٦٩؛ المصطفى فرحات، **اليهود في ابزو رحلة اللاعودة**.....، م.س، ص.٦٨.

(29) Jessica M. Marglin, Across Legal Lines Jews and Muslims....., op, cit, p.134.

(٣٠) المصطفى فرحات، **اليهود في ابزو رحلة اللاعودة**.....، م.س، ص.٦٩.

(٣١) مرمول كربخال، **إفريقيا**، تعريب: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق وأحمد بنجلون، ج ٢، مطابع المعارف الجديدة، ١٩٨٤، الرباط، ص.٩.

(٣٢) سجل الحسن الوزان في مؤلفه السالف الذكر أن بمدينة تَدْنِسْتْ مائة منزل لليهود لا يؤدون الجزية، لكنهم يقدِّمون عادة هدايا للأعيان الذين يُوَّفرون لهم الحماية، ومعظم السكان هم من اليهود، وهم الذين يملكون دار السكة، ويضربون لسكان المدينة نقود الفضَّة. انظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**.....، م.س، ج١، ص.٩٩.

(٣٣) مرمول كربخال، **إفريقيا**،...، م.س، ج٢، ص ص.٩-١٠.

(٣٤) تحدَّث مرمول كربخال عن مدينتين معروفتين باسم «تِيُّوت» في كل من إقليمي حاحا وسوس، وأفادنا كثيرًا بمعطيات مهمة عن تاريخهما وعن مؤهلاتهما البشرية والطبيعية والاقتصادية، فقد وصف تيّوت حاحا بكونها «مدينة قديمة ذات أسوار من آجر، أسسها أهل البلاد، وقد شيِّدت على سهل ....، سكانها أغنياء ولهم أراض كثيرة يزرعونها شعيرًا ويربون فيها الماشية، وتحيط بالمدينة عدَّة بساتين تنتج كمية كبيرة من الخوخ والجوز والتين الذي يجفف، ويعامل السكان الأجانب معاملة في غاية اللياقة، وتعيش بين ظهراهم ثلاثون عائلة من الصنَّاع اليهود الذين يتمتعون بكامل الحرِّية، واستولى البرتغاليون على هذه المدينة سنة ١٥١٤....، ويعيش فيها الناس في هناء أكثر منذ أن غادر البرتغاليون آسفي». انظر: مرمول كربخال، **إفريقيا**....، م.س، ج ٢، ص ص.١٧-١٨؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، **وصف إفريقيا**.....، م.س، ج١، ص.١٠٣.

أما مدينة تيُّوت أو تشييت بإقليم سوس فقد ذكرها في فصل منعزل، ووصف مؤهلاتها قائلاً: «أسس هذه المدينة الأفارقة القدامى وهي... مقسمة إلى ثلاث مدن، يجري نهر سوس الكبير بقربها، ويخترق ضواحيها، فيها أزيد من أربعة آلاف كانون، وسكانها

أغنياء لكثرة القمح والشعير والخضر التي تنتجها المنطقة، هناك مغارس عظيمة لقصب السكر، وعدد عديد من مطاحنه، يقصدها التجار من جميع الأنحاء من فاس ومراكش وبلاد سوس، لأن السكر بها في غاية الصفاء، منذ أن أقام بها يهودي أسلم طواحين بمساعدة الأسرى..، وينتج البلد أيضًا الكثير من التمر...، لكن ليس هناك فواكه غير التين والعنب والخوخ....، وهناك تحضَّر الجلود الجيِّدة التي تُحمل إلى فاس ومراكش وأماكن أخرى». انظر: مرمول كربخال، **إفريقيا**....، م.س، ج ٢.س، ص.٢٩؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**.....، م.س، ج١، ص ص.١١٥-١١٧.

(٣٥) مرمول كربخال، **إفريقيا**....، ج ٢.س، ص.١٨.

(٣٦) **المصدر نفسه**، ج٣، ص.١٤٥.

(٣٧) هي مدينة قديمة ذكرها مرمول كربخال باسم «تَدْنِسْتْ»، واعتبرها أهم مدينة بإقليم حاحا، وكان تأسيسها على يد الأفارقة من قبيلة مصمودة، ووصفها قائلاً: «وهي مسيدة في مدخل سهل جميل، ينيف عدد سكانها عن ثلاثة آلاف، أسوارها من خشب وآجر ملصق بالجص يجعلها حواجز قوِّية جدًا، والدور مبنية بنفس الطريقة، ويكتنفها نهر لا يبعد منبعه من هناك، ضفافه مليئة بالأشجار المثمرة وبكل أنواع الخضر، معظم السكان رعاة حارثون....، وهناك أيضًا بعض الحرفيّين كالإسكافيّين والخياطين والحدادين والنجارين وعدد من الصاغة اليهود والتجار الذين لا يبيعون سوى أقمشة خشنة مصنوعة في البلاد....، إن تحضُّر هذه المدينة أقلّ ممَّا هو عليه في سائر مدن بلاد البربر، إذ لا توجد بها حمَّامات ولا فنادق، ولا مستشفيات ولا مدارس...، وتوجد أكثر من مائتي دار لليهود في حيٍّ منعزل يعيشون فيه وفق شريعتهم، ويؤدُّون للعامل مثقالاً عن كل رأس، فضلاً عن الجبايات الاستثنائية التي يؤدي بموجبها كل واحد أكثر مما يؤديه عشرة من أغنى سكان المدينة، ومع ذلك فلا يُسمح لهم بأن يملكوا منازل ولا تراثًا ولا أي عقار آخر مهما كان، وقد دُمرت هذه المدينة عدة مرّات». انظر: مرمول كربخال، **إفريقيا**.....، م.س، ج ٢، ص ص. ٩-١٠؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**.....، م.س، ج١، ص.٩٨.

(٣٨) مرمول كربخال، **إفريقيا**....، م.س، ج٢، ص.٣٨.

(٣٩) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**.....، م.س، ج١، ص٢٨٣.

(٤٠) المصدر نفسه، ص. ١٠٥-١٠٦.

(٤١) المصدر نفسه، ص.١١٧.

(٤٢) المصدر نفسه، ص.١١٩.

(٤٣) المصدر نفسه، ص. ١٧٦.

(٤٤) المصدر نفسه، ص. ١٤٠.

(٤٥) المصدر نفسه، ص.١٤٢.

(٤٦) تمنع الشريعة اليهودية القرض بالفائدة وتدينه مثلما يحرِّمه القرآن أيضًا، وقد تقيدت السلطات الربية نظريًّا خلال كل القرون بهذا المنع، غير أنها قبلت التمييز بين الربا الصريح من جهة (ربا مشروطة باتفاق شفهي أو عقد مكتوب) وهو محظور في الشريعة المكتوبة وبين ما يشبه الربا من جهة أخرى أي عدم وجود أي اتفاق مسبق ما بين المدين والمستدين، لكن التُّجَّار اليهود تفننوا في اختراع الوسائل المتنوعة قصد التحايل على القوانين المتعلقة بالقرض بالفائدة، بل إنهم استطاعوا مع حظوظ متفاوتة من النجاح تبعًا لحالات معينة أن يجعلوا بعض الفقهاء يُقرُّون بتحايلهم على القانون ممَّا ألزم القيام ببعض التعديلات في التشريع لجعل بعض أشكال العمليات الربوية مشروعة. انظر: حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود.....**، م.س، ص ص.١٦١-١٦٢؛ فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي**.....، م.س، ص ص.٢٠٥-٢٠٦.

(47) Hugh. E. M. Stutfield, op, cit, p.139; Alec John Dawson, Things Seen in Morocco: Being a Bundle of Jottings, Notes, Impressions, Tales, and Tributes, London, 1904, p.23.

(48) James Richardson, Travels in Morocco, V.II, London, 1860, p.4.

(٤٩) يُطلق مصطلح «الفترة»، على الأزمات العويصة طويلة المدى كتلك التي شهدها المغرب بعد وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي ١٦٠٣م، أو تلك التي أعقبت وفاة السلطان العلوي مولاي إسماعيل ١٧٢٧م، وكأن الأمر يتعلق بتلك المدَّة الفاصلة بين نبيَّين حينما تنقطع الرسالة السماوية ويُترك البشر دون هدى سوى من أنفسهم، وذلك للتدليل على هول الكارثة التي حلَّت بالبلاد والعباد. انظر: عبد الرحمن المودن، «الحوليات والأزمات السلطانية (١٧٢٧-١٧٥٧م) مصطلح الفترة»، في ندوة **الإسطوغرافيا والأزمة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى ١٩٩٤، ص ص. ١٠٥-١١٣.

(٥٠) هو السلطان محمد بن اسماعيل الملقب بولد عربية أمّه عربية من الشاوية وبها عُرف. انظر: ماريا تير ميتلين، **اثنتا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب ١٧٣١-١٧٤٣**، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، منشورات المتوسط إيطاليا، ط. الأولى ٢٠١٨، ص.٨٩.

(٥١) المقصود هنا عناصر من الجيش الذي قام بتشكيله السلطان مولاي اسماعيل العلوي، وهو جيش ضمَّ جنود سود من العبيد وعناصر سمراء كانت تسكن الواحات الجنوبية منذ أقدم العصور، وتُعرف باسم «الحراطين»، وقد أعطت سياسة مولاي اسماعيل العسكرية أكلها بحيث استطاع بفضلها فرض هيبة المخزن وسلطته في كل الجهات التي كانت تشمل التراب المغربي، فضلاً عن كونها ساعدته في مواجهة الخطر الأجنبي وطرد النصارى من بعض الثغور المحتلة. انظر: محمد مهناوي، تشكيل جيش البخاري ومسألة الحراطين من خلال مخطوط جني الأزهار ونور الأبهار»، **ضمن أعمال الندوة الوطنية**، الرق في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ٢٠١٠، ص.١٢٩.

(٥٢) ماريا تير ميتلين، **اثنتا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد**...، م.س، ص.١٠١-١٠٣.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ص.١٠٤-١٠٦.

(٥٤) المصدر نفسه، ص.١٠٢

(55) Walter Burton Harris, The Land of an African Sultan, Travels in Morocco 1887,1888, and 1889, London, 1889, pp.133-134.

(56) Budgett Meakin, «The Jews of Morocco », op, cit, p( ).392.

(57) Budgett Meakin, The Moors: A Comprehensive Description....., op, cit, p.447؛ «The Jews of Morocco»....., op, cit, p.392.

(٥٨) لا يتَّفق الطبيب الاسكتلندي روبرت كير مع هذا الحكم، ويُشدِّد على أن المخالفات ذات الطابع الديني أو الفساد أو ازدراء المحكمة لا يمكن التسامح معها إطلاقاً، فحينما يرتكب اليهودي مثل هذه المخالفات، فإنه يتعرَّض لمقاطعة شاملة من بني جلدته داخل الحيِّ، بحيث لا يُسمح لأحد بالشراء منه أو البيع له أو حتَّى الكلام معه، وإذا كان المذنب من ذوي النفوذ في المجتمع، فإنه يضطرُّ إلى السفر والتغيُّب عن القرية لمدة شهر (عطلة قسرية)، ثم يمنح مبلغًا ماليًا محدَّدًا إلى الفقراء، وإن لم يكن كذلك فسيكون مضطرًّا إلى تحمُّل العار. انظر: Robert Kerr, Morocco after Twenty-Five Years; A Description of the Country, Its Laws and Customs, and the European Situation, London, 1912,, pp.37-38.

(59) Budgett Meakin, The Moors: A Comprehensive Description....., op, cit, pp .448-449؛ «The Jews of Morocco»....., op, cit, p.393.

لا يتَّفق الباحث المصطفى فرحات مع هذا الطرح، بحيث نجده يخطو في اتجه معاكس تمامًا، ويُبرز أنَّ يهود الأطلس ويهود منطقة ابزو على وجه الخصوص معروفين بالصدق والوفاء وعدم خيانة الأمانة في المعاملات التجارية، لكن في المقابل، فإنهم يتعرَّضون للتدليس والخيانة من قبل شركائهم المسلمين. انظر: المصطفى فرحات، **اليهود في ابزو رحلة اللاعودة**.....، م.س، ص.١٩٧.

(60) Raphael chijioke njoku, Cultur and Customs of Morocco, London, 2006, p.6.

(61) Emily Gottreich, The Mellah of Marrakesh: Jewish and Muslim Space in Morocco's Red City, Indiana University Press Bloomington, IN 47404-3797 USA, 2007, p.73.

(٦٢) يُقصد بالترتر رقائق معدنية أو بلاستيكية مستديرة لامعة صغيرة ذات ألوان متعدِّدة توشى بها ملابس النساء.

(٦٣) تعني الرَّكائب تلك الدعمات المعدنية التي تتَّصل بكل جانب من سرج الحصان، وهي ذات قاعدة مسطحة، والغرض منها دعم قدم الفارس.

(64) Emily Gottreich, op, cit, pp.99-102.

(65) Ibid, pp.119-120.

(66) Emily Gottreich, op, cit, p.111.

(٦٧) هشام الركيك، من حومة فندق اليهودي إلى ملاّح فاس الجديد، تجليات الحضور اليهودي في المشهد العمراني لمدينة فاس»، **في مجلة هيسبريس تمودا**، العدد ١١، مجلد ٢، ٢٠١٦، ص.٢٧٢.

(٦٨) عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب الإسلامي**.....، م.س، ص.٨٩.

(69) Edith Wharton, op, cit, p.113.

(٧٠) حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود**.....، م.س، ص. ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤.

(٧١) عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب الإسلامي**.....، م.س، ص ص.٩٥-٩٦.

(٧٢) هشام الركيك، «من حومة فندق اليهودي....»، م.س، ص.٢٧٢.

(٧٣) أحمد شحلان، **اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى ريّاح الفرقة، قراءة في الموروث ولأحداث**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ط. الأولى ٢٠٠٩، ص.١٤١.

(٧٤) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**.....، م.س، ص.٢٩٦.

(٧٥) عبد الله أيت يشو، «معالم من حياة اليهود المغاربة» **في مجلة كان**، دورية إلكترونية محكمة، العدد الثالث، ٢٠٠٩، ص.١٥.

(٧٦) خيرية قاسمية، **يهود البلاد العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط.الأولى، ٢٠١٥، ص.٣١٥.

(٧٧) اعتمد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام في تنشيط التجارة الخارجية مع الأقطار الأوروبية ولاسيما مع الأراضي المنخفضة على أحد أفراد هذه الأسرة ويُسمَّى مَيِّر بن مقنين، ووضع رهن إشارته الأموال اللازمة لتحقيق هذه الإرادة السلطانية، ويتأكد ذلك من رسالته إلى القائد محمد أميمون المؤرخة في ٢٢ صفر عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م، والتي يُعلمه فيها بإنعامه على التاجر الذِّمي مَيِّر بن مقنين بوسق الثيران من مينائيَ طنجة وتطوان إلى بلاد الفلامنك مع تخفيضات مغرِّية في الرسوم الجمركية قائلاً له: «فاعلم أننا أنعمنا على خديمنا التاجر مَيِّر بن مقنين بوسق الثيران من مراسينا السعيدتيْن طنجة وتطوان عمَّرهما الله، وقصرنا وسق الثيران في المرستين المذكورتين عليه، وأن لا يسقه بهما أحد غيره ما عدا الثلاثة والثمانين رأسًا التي يسق اللنجليز عن كل شهر من طنجة ومثلها من تطوان، فإن ذلك يوسق، وأما غير هذا فلا يسق أحد ثورًا غيره، والوسق يكون على يده أو على يد أصحابه، ولا مدخل لك في صاكة ما وسقه من ذلك، وإنما تُعْلمنا بالعدد الذي يسقه، وأما الصاكة فبيننا وبينه». انظر **رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد أميمون، بتاريخ ٢٢ صفر عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة ٢٢,٠٥,٢، قنصلية طنجة ١٨١٥-١٨٣٠، رقم ٤٠.**

(٧٨) استفاد العديد من التُّجَّار اليهود خلال مرحلة ما قبل الحماية من امتيازات كثيرة مُنحت لهم من طرف السلاطين العلويين مقابل قضاء حوائجهم وأغراضهم المختلفة، فمن تلك الامتيازات، الاستفادة مما كان يُسمَّى بـ«الكنطردات» أي الاحتكارات التي كانت تسمح لتاجر معيَّن باحتكار تجارة بعض المواد، مقابل مبلغ يدفعه لبيت المال، وكانت هذه الاحتكارات تشمل بالأساس استيراد مواد أساسية، كالشاي، القهوة، والسكر، أو تصدير مواد مغربية، كالصُّوف والجلود وغيرهما، وقد عُرف هؤلاء التُّجَّار في المصادر التاريخية المعاصرة بـ«تجار السلطان»، ومن أشهر الأسر اليهودية التي لمع نجمها في هذا الميدان، أسرة آل مقنين، أسرة قرقوز، وأسرة بن دلاك. انظر: Emily Gottreich, op, cit, pp.119-120;

محمد المنصور، مادة «تجار السلطان»، في **معلمة المغرب**، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، المجلد السابع، ١٩٩٥؛ دانييل شروتر، **يهودي السلطان المغرب وعالم اليهود السفرد**، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ط. الأولى ٢٠١١، ص. ٦٣ وما بعدها؛ **رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد أميمون...، م.س، رقم ٤٠.**

(79) Emily Gottreich, The Mellah of Marrakesh..... , op, cit, p.103.

(٨٠) فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي**.....، م.س، ص. ٦٠.

(٨١) عبد الله أيت يشو، «معالم من حياة اليهود المغاربة».....، م.س، ص.١٤.

(٨٢) يعود أصل عائلة آل قرقوز إلى الماضي الأندلسي، إذ جاء أسلاف هذه العائلة من إسبانيا والبرتغال إلى المغرب خلال القرن الخامس عشر الميلادي، ويبدو أن أحد فروع هذه العائلة كان مقيمًا في مدينة مراكش خلال القرن الثامن عشر، ولعل ميمون بن إسحاق كان ضمن المجموعة الأولى من تجَّار السلطان الذين أقاموا في مدينة الصويرة، ومات بالطاعون سنة ١٧٩٩م، وكان أبراهام وهو من أبناء عمومته من كبار تجَّار الصويرة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأربعنياته، ومن التجُّار الذين اعتمدوا في أعمالهم التجارية على السلفات السلطانية، وقد كان انتقاله من مراكش إلى الصويرة قبل هجوم الفرنسيين عليها في غشت ١٨٤٤م ببضع سنوات، وتابع آل قرقوز رحلتهم من حاحا إلى مراكش، فمكثوا بها حتى صيف ١٨٤٥م، وفي السنة الموالية تلقى شلمو والد أبراهام ظهيراً سلطانيا يأمره بالانتقال إلى الصويرة للنظر في أمور تجارته وتسديد ديونه وما تبقى من ديون ولشاير Willshire الإنجليزي، وبقي يعقوب قرقوز في مراكش ينوب عن شلمو، ولمَّا كان هذا الأخير وكيلاً تجاريًّا للنائب القنصلي البريطاني ولشاير في مراكش، وفي حوزته ما تبقى من أمواله، قرَّر السلطان مولاي عبد الرحمان أن يواصل شلمو مسؤولية التصرُّف في تلك الأموال ويوظِّفها في التجارة الخارجية، وحينما توفي شلمو قرقوز في الصويرة سنة ١٨٥٣م، انتقل نجله يعقوب إليها سنة ١٨٥٧م ليستقرَّ بها بصفة دائمة بعد أن ترك ابن عمه حايِّيم نائبًا عنه في تسيير الأعمال التجارية في مراكش. انظر: دانييل شروتر، **تجار الصويرة، المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب ١٨٤٤-١٨٨٦**، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ص ص.٧٢-٧٦.

(٨٣) شهدت العملة المغربية خلال القرن التاسع عشر انهيارًا كبيرًا ليس بسبب العجز التجاري المغربي أو لآليات تتعلق بالاحتكاك بين اقتصادين غير متكافئين، بل كان بسبب تفشي التزوير سواء بالنسبة للريال أو للبسيطة الإسبانية، وكان يسهل ذلك امحاء القطع القديمة، وكان ممن اشتهر بهذا الفعل الصُنَّاع اليهود والطلبة المسلمين، وقد أدى هذا التزوير إلى فقدان الثقة بالعملة، فلا يتبايع شخصان إلَّا بعد أخذ الاحتياط الكامل، ولم يكن البائع يقبل قطعة نقدية إلَّا بعد أن يشرك في فحصها شخصين أو أكثر، وإذا كان صانع يهودي بالجوار فنعم الخبير، أمَّا نقود الذهب فلا يجرؤ أحد على أخذها مخافة أخذ الفاسدة، غير أنَّ التزوير كان يطال الفلوس البرونزية بصفة أخصّ. انظر: أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**.....، م.س، ص.٢٧٥.

(84) Emily Gottreich, op, cit, pp.104-105.

(٨٥) أحمد شحلان، **اليهود المغاربة**.....، م.س، ص.١٤١.

(٨٦) عبد الإله الدحاني «منطقة الغرب في الكتابات الأجنبية خلال القرنين ١٧ و ١٨م» **في مجلة البحث التاريخي**، عدد مزدوج ٥-٦، ٢٠٠٨، ص.١٥٥.